مجلة معالم للدراسات الاعلامية والاتصالية

مجلة تصدر عن مخبر الاتصال والأمن الغذائي
كلية علوم الاعلام والاتصال-جامعة الجزائر3

المجلد الأول/ العـــدد الثاني /ديسمبر 2020
ISSN 2716-9111

التلقي في نظرية الحتمية القيمية

Receptivity in the theory of value determinism

د/ حمدي وردة، أستاذة محاضرة أ، جامعة المدية.

د/ بوغرارة حكيم، أستاذ محاضر ب، جامعة المدية.

ملخص

توضح هذه الدراسة خصوصية التلقي ومستوياته في ظل نظرية الحتمية القيمية للإعلام، وتوضح في الوقت ذاته العوامل القيمية وإسهاماتها في تحديد خصوصية التلقي ومستوياته وأشكاله. ولإبراز ذلك، تم توضيح مفهوم التلقي وأهميته في البحوث والدراسات الإعلامية، وتم إبراز المحاور والأسس الخاصة بنظرية الحتمية القيمية للإعلام، لتحدد فيما بعد العلاقة بين العنصرين، وتأثير الحتمية القيمية على مستويات تلقي الجمهور للمحتوى الإعلامي.

الكلمات المفتاحية: التلقي، الإعلام، الحتمية القيمية، البيئة الإعلامية، المتلقي.

Summary

This study clarifies the specificity of reception and its levels under the theory of the value determinism of the media, and at the same time it clarifies the value factors and their contributions in determining the specificity of the reception, its levels and

forms. To highlight this, the concept of reception and its importance in media research and studies were clarified, and the axes and foundations of the theory of value determinism for the media were highlighted, to determine later the relationship between the two elements, and the impact of value determinism on the levels of audience receiving media content.

Key words: receiving, informing, value determinism, media environment, the recipient.

مقدمة

يعتبر التلقي في مجال الإعلام من المحاور البحثية الحديثة، والذي بات محل اهتمام كبير وواسع من قبل المختصين والمنظرين في علوم الإعلام والاتصال.

ويأتي الاهتمام بفعل التلقي لدى جمهور وسائل الإعلام بعد التحولات والتطورات الكبيرة التي فرضتها الثورة التكنولوجية والمعلوماتية، وبروز العديد من النظريات والتيارات، والمدارس المفسرة للظاهرة الاتصالية والإعلامية.

ويرتبط فعل التلقي بجمهور وسائل الاتصال الجماهيرية حيث كان المتلقي أو المستقبل أو الحشد أو الجمهور مصنف ثالثا في الهياكل أو البيانات التي تفسر العملية الإعلامية (مرسل/رسالة/مستقبل) وهناك من أضاف الوسيلة وهناك من تحدث عن رجع الصدى، ومع تطور الدراسات وزيادة النظريات المفسرة للظاهرة الاتصالية وكذا التفتح على العلوم

الإنسانية والاجتماعية الأخرى على غرار العلوم الاجتماعية والنفسية، والأدب واللسانيات،برز التلقي كأحد أهم العناصر التي يجب التركيز عليها في تحليل وفهم الظاهرة الاتصالية والإعلامية بعد أن تم تقديس الرسالة والمرسل – المؤلف- لزمن طويل.

وقد ساهمت الدراسات في مجال اللسانيات التي برز فيها فرديناند دو سوسير ورولان بارث وكذا المدرسة الشكلانية الروسية ،وظهور البنيوية كنظرية جديدة في القرن العشرين في التركيز على فعل التلقي من خلال الاستلهام من نظرية موت المؤلف أو "المرسل" حيث لم يعد التركيز موجها على المؤلف على صاحب الرسالة بعد أن تم اعتباره مجرد متعود على استعمال اللغة في صياغة نصوص أو رسائل ،وتقاطعوا في أن ليس ما تتضمنه الرسالة أو النص هو المهم ولكن الأهم هو تلك القراءة الثانية التي يقوم بها المتلقي من خلال إعادة توليد المعاني التي تتضمنها النصوص أو المواد الثقافية بما فيها الإعلامية واستخراج ما ليس معلنا في النص أو كما يسمى في الأدب اكتشاف أدبية النص الأدبي وهي التي تضمن له فيما بعد الحياة والوجود.

وبالنظر لأهمية علوم علام والاتصال ورغبة الخبراء والباحثين في تدارك تأخر التراكم المعرفي بالمقارنة مع العلوم الاجتماعية والإنسانية واستعمال مختلف أدوات مناهج العلوم الأخرى ،وإرساء تقاليد بحثية عبر مراكز ضخمة ومرجعية

بإمكانها المساهمة في التنظير لعلوم الإعلام والاتصال عرفت أوروبا تأسيس مركزين لبحوث الاتصال منذ الستينات لدراسة وسائل الاتصال الجماهيري بشكل واضح من خلال إلحاحهما على البعد الرمزي للثقافة الجماهيرية وعلى الوظيفة الاجتماعية اللاشعورية لوسائل الاتصال الجماهيري يقع أحدهما في فرنسا وهو مركز دراسات وسائل الاتصال الجماهيري والذي ساهم (رولان بارث) بفاعلية في انطلاقته ،ويقع الثاني في بريطانيا وساهم في تأسيسه "ستيوارت هال"وهو المركز المعاصر للدراسات الثقافية.

وبالإضافة إلى تلك المركزين تتحدث مختلف المراجع والدراسات عن بروز مدرسة "كوستانس"في ألمانيا كقطب مهم في دراسة فعل التلقي أو القراءة التأويلية للنص على يد العالم "هانس روبرات ياوس" وتبعه مواطنه "أيزر والفقانق" وكان هذا الاتجاه الجديد مدمجا في إطار الدراسات النقدية الغربية المعاصرة وهذا من أجل الوصول لبلورة مفهوم جديد يهتم بالعلاقة المتبادلة بين النص والقارئ.

وتهدف الدراسات المنجزة في مجال التلقي إلى معرفة مصير الرسائل الإعلامية والمنتجات الثقافية بعد وصولها للجمهور وكيفية قراءة المتلقي لها وفك رموزها وقدرته على تفكيك شيفراتها ومطابقتها مع معتقداته وميولاته ورغباته وواقعه الاجتماعي والثقافي،مع تجاهل تام مثلما تحدثت عنه النظرية البنيوية لصاحب النص أو صاحب الإنتاج.

وزاد الاهتمام بفعل التلقي بغد التطورات الكبيرة التي شهدتها مجالات علوم الإعلام والاتصال ودخول التكنولوجيات الحديثة التي قلبت كل موازين العلية الاتصالية وخلقت ما يسمى التفاعل المباشر،وقدرة كل فرد على إنتاج الأخبار ونشرها وإذاعتها وبثها في نفس الوقت الذي يقوم به المرسل على مستوى المؤسسات الإعلامية بالعملية وقد قد يسبقه المواطن –إعلام المواطن- في حال حصوله على المعلومة قبل الصحفي وهو ما يجعل المستقبل أو المتلقي مرسلا والمرسل مستقبلا ومتلقيا مثلما نعيشه اليوم على مساحات التواصل الاجتماعي.

وعرفت الساحة العربية والإسلامية لوقت طويل استيراد النظريات الغربية وما توصلت إليه مختلف الدراسات وإسقاطه على الواقع العربي والإسلامي وفي أحسن الأحوال مثلما يقول البروفيسور عزي عبد الرحمن نقوم بانتقاد تلك النظريات وطرح السلبيات وما توصلنا إليه في آخر المطاف هو استيعاب واقعنا دون القدرة على التعبير عليه.

وفي ظل الظروف العصيبة التي مر بها الوطن العربي والإسلامي وخاصة في محال تطوير ووضع أسس علوم اجتماعية وإنسانية قادرة على مواكبة المجتمعات العربية والإسلامية من خلال توظيف مراجعها وتراثها الغني بدراسات ابن رشد وابن خلدون وغيرهم ممن برز في استعمال مناهج العلوم للوصول إلى المعارف الحقيقة والدقيقة،وضع الباحث والبروفيسور عزي عبد الرحمن نظرية جديدة في مجال علوم

الإعلام والاتصال هي نظرية الحتمية القيمية للإعلام في اجتهاد منه لدراسة الظاهرة الإعلامية – الاتصالية- وفقا للمرجعية العربية والإسلامية مع الأخذ بعين الاعتبار القيمة كبنية أسياسة لفهم العملية الاتصالية،وخصص الباحث جزء كبير من نظريته إلى فعل التلقي الذي يربط المستقبل بالرسالة الإعلامية.

ويختصر الباحث دانيال دايان الذي ترجم معظم البحوث والدراسات الخاصة بالتلقي من الانجليزية إلى الفرنسية موضع التلقي بقوله "....يجب على دراسات التلقي أو لا تتحدث عن الجمهور أو عن اسم ومعنى الجمهور بل يجب عليها أن تعطي الكلمة للجمهور"

ونسعى من خلال هذه الورقة البحثية الإجابة عن الإشكالية الآتية:

- **كيف ربطت نظرية الحتمية القيمية بين فعل التلقي المرتبط بالجمهور والقيمة التي تحملها الرسالة الإعلامية ؟**

نظرية الحتمية القيمية :

تعد نظرية الحتمية القيمية في الإعلام من النظريات الاتصالية المعيارية التي تربط بين الواقع وما ينبغي أن يكون عليه انطلاقا من القيمة التي ينبغي أن يجري السلوك البشري على مقتضاها ...وقد تبلورت هذه النظرية منذ أوائل الثمانينات من القرن ال 20 من خلال كتابات البروفيسور عبد الرحمن

عزي الذي تعد القيمة والبعد الحضاري القيمي الهاجس المركزي في جل مؤلفاته وأبحاثه التي تزيد عن خمسين دراسة في مجالات علوم الإعلام والاتصال.والفكر الاجتماعي والفلسفي المعاصر في القرن ال 20 المتمثل في البنيوية والظاهراتية والتفاعلية الرمزية والتأويلية النقدية وتأملاته في المنظار الخلدوني،ودراسة التراث الإسلامي القيمي ،وتغلغله في الفلسفات الأخلاقية الغربية العقلانية القائمة على المبادئ ونظريات الإعلام المعيارية الغربية مثل المسؤولية الاجتماعية والتآلف الاجتماعي من جهة والمصادر التراثية العربية الإسلامية[1]

ولقراءة النظرية وفهمها فهما صحيحا قدم نصير بوعلي في إحدى دراساته ما اصطلح عليه "بمفاتيح" النظرية، وتتمثل هذه المفاتيح استنادا إلى المقاربة البنيوية في[2]

أولا :-إن نظرية الحتمية القيمية في الإعلام كبنية تتضمن عناصر البناء التالية

أ- علوم الإعلام والاتصال كمادة خام: يعتبر الباحث عزي عبد الرحمن **"الاتصال ونظرياته"** – يشمل حسبه الإعلام (وسائل الإعلام) ولاتصال بين أفراد المجتمع معا- علما وليس ممارسة،ليس فيه الكثير من التراث على اعتبار أنه ارتبط تاريخيا بظاهرة تقنية كاكتشاف الإذاعة والفيلم وغيرها من تقنيات الاتصال أي أنه ظاهرة غربية أو أمريكية ،وقد عان

عانى هذا العلم ضعفا نظريا بفعل الجدل القديم – الجديد حول ما إذا كان موضوع هذا العلم "الرسالة" أو "الوسيلة".

ب- الفكر الاجتماعي المعاصر في القرن العشرين كمادة مستوردة: يعتبر الباحث الجزائري عبد الرحمن عزي البنية النظرية الاجتماعية أفضل ما توصلت إليه المعرفة النظرية الغربية في دراسة الاتصال بشتى أبعاده ،ولا يعني ذلك أن هذه البنية كافية أو تمثل مخرجا حقيقيا بل أنها في نظري إطارا نظريا ومنهجيا ناقصا ومحدودا رغم إسهاماته وسيادته النسبية في المعرفة النظرية الغربية المعاصرة.

وكان هذا الحكم نابعا من التطور الذي كانت تعرفه أوروبا والغرب بصفة عامة في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية،والعكس بالنسبة للجزائر التي رجع إليها الباحث عزي عبد الرحمن والذي كان حالها حال الأمة العربية والإسلامية تقريبا كله.

وعبر عن ذلك بقوله "....الواقع أن عودتي إلى الجزائر والمحيط الثقافي الذي يكون أزمتها الفكرية والهويتية – من الهوية - جعلني أستقل تدريجيا عن تلك البنية النظرية الاجتماعية الغربية ،ولكن أدواتها ظلت حاضرة في مقاربتي لهذا المحيط المستجد رغما عني.وقد مكنتني تلك الأدوات من أن أنظر إلى الذات والثقافة من زاوية خارجية وكأنني اكتشف هذه الذات والثقافة من جديد ،فكان ذلك حافزا أساسيا في النبش في التراث فكتبت عن النظرية الاجتماعية الغربية الحديثة،وابن

خلدون.كما استوقفتني إسهامات مالك بن نبي في دراسة المشكلة الحضارية وابرزا الترابط البنيوي بين الإنسان والتراب والزمان،فأضفت في دراسة أخرى عامل الإعلام في نظريته وبنيت مفهوم "أهلية القيمية" في دراسة مجتمع عصر المعلومات وقد بدا لي أن هذا النبش يفيد فقط على المستوى المنهجي...والحاصل أن إسهامات هولاء في نظريات الاتصال على النحو الذي ظهرت في المجتمع المعاصر غير واضحة أو مدفونة في جملة المواضيع التي شغلت بالهم في تلك الفترة..وقد بدأت مسار تحديد هذه النظرية بتقديم النظرية الاجتماعية الغربية الحديثة وتكييفها مع الواقع الجديد وعلاقاتها بالاتصال"

وأكد البروفيسور عزي عبد الرحمن في ذات السياق أن الباحث ينطلق عادة من موضوعه ثم يستخدم أدواته في إطار الابتعاد عن الموضوع من أجل الاقتراب منه ،وأدواته هذه وان كانت مقتبسة من الآخر إلا أنها تخدم أهداف موضوعه ومرجعيته،أي المنظومة القيمية الاجتماعية ...أما البقاء على مستوى الموضوع فحسب فيجعل الباحث حبيس واقعه دون إمكانية الارتقاء أو الربط بين المتغيرات القيمية والاجتماعية ،وعلى هذا الأساس ليس المقصود من الواقع السياق الاجتماعي الحاضر التراث القيمي والفكر الغربي ،وإنما الموضوع أو النص من خلال واقع الظاهرة الإعلامية.....[3]

ج- التراث العربي الإسلامي على سبيل الاجتهاد وليس النقل كمادة محلية.

يؤكد الباحث أن نظرية الحتمية القيمية للإعلام كتلة ثقافية متميزة.و لا يعني هذا التعبير "العودة" يثقل إلى التراث ذلك أن كلمة التراث احتلت مساحة واسعة من الخطاب الثقافي "العربسملي"- العربي /الإسلامي -،وتكون ذات الفرد في هذه الثقافة قد تشكلت تراثيا ولو بصفة جزئية في عالم من عوالمه كعالم التقاليد المعايشة.

ويهدف البروفيسور عزي عبد الرحمن إلى تجاوز نقد النظريات الغربية لأن ذلك لن يجلب معرفة مستجدة ،وان حدث فالمرجعية ستبقى للآخر دائما والنقد يولد الكسل الفكري أو البحث عن التميز وفقط.

وحتى تقليد الإعلام الإسلامي يقوم على سرد النصوص بذاتها دون إتباع منهجية محددة في قراءة النص أو ربطه بواقع الظاهرة الإعلامية المعاصرة،وكان ذلك عاملا في وصول هذا الطرح إلى طريق "شبه مسدود" بعد أن تم استكمال السرد وأصبحت النصوص تكرر نفسها دون اختراق معرفي بارز،وبتعبير آخر لم ينتج الطرح نصا معرفيا "ساطعا" وإنما توقف عند باب الوعي بالمشكلة....أما نظرية الحتمية القيمية في الإعلام فتوظف عدد من الأدوات المنهجية التي ولدتها النظرية الاجتماعية والاتصالية الحديثة في الغرب،فهي تسعى إلى التجديد في قراءة النصوص وربط ذلك بواقع الظاهرة الإعلامية القائمة في المنطقة العربية والإسلامية.

د- القرآن الكريم بمثابة الاسمنت الذي يمسك النظرية بإحكام:

يعتبر البروفيسور عزي عبد الرحمن القيمة التي جبل- فطر- عليها الإنسان أهم معيار في نظريته الحتمية القيمية للإعلام،وتلك الفطرة التي هي عبارة عن مجموعة من القيم التي تساعد الإنسان على الاستجابة لأوامر الله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق وغيرها من القيم التي تمكن الإنسان من اعمار الأرض وتنظيم علاقته ومعاملته مع الأفراد والمجتمع والأجانب،وكل ما يحتاجه.

وبما إن الإعلام ووسائله نسقا اجتماعيا وجب عليه التقيد بتلك القيم حتى يكون نسقا فاعلا ومتناسقا مع مختلف العناصر الأخرى التي تكون بنية المجتمع وتعمل في اتجاه واحد.

ظهرت نظرية الحتمية القيمية في الإعلام كرد فعل على طغيان تفسير الواقع الإعلامي العربي والإسلامي على نظريات غربية صنفت الإعلام على أسس (السلطوية،الاشتراكية ،الرأسمالية، المسؤولية الاجتماعية) وهي التي وضعها "سيبرت فراد" و"تيودور بيترسون" و"ويلبر شرام"، وتصنيفات بعيدة كل البعد عن خصوصيات ومراجع الواقع العربي والإسلامي على غرار تصنيفات (جي هربرت ألتشل).

واعتبر مالك بن نبي أن للدين دور هام – فعال وايجابي- في تركيب الوقائع حيث يسمح بتوجيه سلوك الفرد ،وتنظم غرائزه تنظيما عضويا في علاقتها الوظيفية ببناء إحدى الحضارات.[4]

ثانيا-أسبقـــــية النظـــرية كـــكل عـــــلى الأجـــزاء:

إن نظرية الحتمية القيمية في الإعلام هي ذلك الكل المركب من دراسات وأبحاث نظرية عبد الرحمن عزي، و تنطلق كلها تقريبا من إشكالية واحدة هي كيفية فهم الظاهرة الاتصالية والإعلامية فهما قيميا وحضاريا.وتحتاج النظرية التعريف والتفسير والتأويل وهي أولى المهام التي يجب انجازها على طريق دفع النظرية إلى الأمام ،فمهمتنا الاشتغال على النظرية وليس الانشغال بها فتلك مسألة أخرى(5)

-3أسـبقية العـلاقة عـلى الأجـزاء أو القيـمة المحـددة لـها:

تتضح هذه النظرية أكثر عند إمعاننا النظر في العلاقة التي تحكم دراسات عزي عبد الرحمن، لأن ذلك سيقود إلى التغلغل في الدواخل وتوليد المعاني العميقة للنظرية(...) وتعتبر القيمة هي الحلقة أو العلاقة بنيويا التي تمسك أبحاث المفكر وتجعلها مساقط لا تتحرك إلا ضمن دائرة النظرية.

-4إن عناصر نظرية الحتمية القيمية لا تحمل أي معنى إلا في إطار السياق العام؛

أي يجب استحضار العوامل الاجتماعية والثقافية والحضارية والتاريخية التي ساعدت على تبلور هذه النظرية.(6)

ثالثا/ افتـراضـات وركـــائـــز النظـــرية:

تنطلق النظرية من افتراض أساس يعتبر الإعلام رسالة وأهم معيار في تقييم الرسالة هو القيمة التي تنبع أساسا من المعتقد. ولذلك فإن تأثير وسائل الإعلام يكون إيجابيا إذا كانت محتوياتها وثيقة الصلة بالقيم، وكلما كانت الوثائق أشد كان التأثير إيجابيا. وبالمقابل، يكون التأثير سلبيا إذا كانت المحتويات لا تتقيد بأية قيمة أو تتناقض مع القيمة، وكلما كان الابتعاد عن القيمة أكبر كان التأثير السلبي أكثر. ويعتبر مفهوم السالب والموجب من بين المفاهيم الجديدة التي قدمها عبد الرحمن عزي بالإضافة إلى المخيال الإعلامي (في مقابل الرأي العام)، والزمن الإعلامي، والرأسمال الإعلامي الرمزي، والوضع و الخيال "والتمعقل" (من استخدام العقل) وفعل السمع والبصر، والبنية القيمية وغيرها. وهي بمثابة مباحث فرعية يرتكز عليها النسق الكلي وهو النظرية.

ثالثا: <u>أما أهم الركائز –المبدئية- التي تقوم عليها النظرية فتتمثل حسب عبد الرحمن عزي:</u>

-أن يكون الاتصال نابعا ومنبثقا من الأبعاد الثقافية الحضارية التي ينتمي إليها المجتمع.

-أن يكون الاتصال تكامليا؛ فيتضمن الاتصال السمعي البصري، والمكتوب والشفوي الشخصي،مع التركيز على المكتوب لأنه من أسس قيام الحضارات.

-أن يكون الاتصال قائما على مشاركة واعية من طرف الجمهور المستقبل لا أن يكون أحاديا متسلطا.

- أن يكون الاتصال دائما حاملا للقيم الثقافية والروحية التي تدفع الإنسان والمجتمع إلى الارتقاء والسمو. (7)

التلـــــقي فـــي نـــــظرية الحتمـــــية القيمـــــــية :

1- مفهوم التلقي:

إن التلقي مفهوم واسع ومنتشر عبر العديد من العلوم الإنسانية والاجتماعية وتناقلته علوم الإعلام والاتصال خاصة من مجال الأدب حيث كانت تدرس فعل القراءة أو تلقي النصوص الأدبية من قبل القارئ أو الجمهور مثلما هو متعارف عليه في علوم الإعلام والاتصال.

إن مسالة القراءة قد تمت معالجتها من زاويا مختلفة فكانت أبحاث في سيكولوجية وفي سوسيولوجية القراءة وفي جمالية التلقي.ودرس البعض القراءة بوصفها نشاطا نفسيا أو استجابة وظاهرة اجتماعية وتاريخية،في حين عدها البعض الآخر بمثابة تجليات لمعطيات ثقافية معرفية.إن القراءة هي عملية دينامية وحركة تتميز بالتعقيد،فضلا على أن العمل الأدبي هو مجموعة التخطيطات أو الاتجاهات العامة،يقوم القارئ بتجسيدها بالاعتماد على ما اسماه "تيري ايغلتون""الفهم المسبق"،وسياقا مهما من القناعات والتوقعات يتم على ضوئها تقويم خصائص النص المتنوعة،وعندما يلتقي القارئ مع النص تتعدل هذه التوقعات وتسمح بدوران الحلقة التأويلية ،متحركة من الجزء إلى الكل ثم رجوعها إلى الجزء.وسعيا إلى بناء معنى متماسك من النص،يقوم القارئ باختيار عناصره وينظمها في وحدات كلية

متصلة ،مقصيا بعضها ومقدما بعضها الآخر.علما أن القراءة ليست حركة خطية مستقيمة أو مسالة تراكمية"[8]

أما مصطلح التلقي المشتق من الفعل اللاتيني " Recipere" بمعنى تلقى واستقبل فهو مفهوم حديث نسبيا في الخطاب النقدي ،تبنته نظرية التلقي الألمانية التي ركزت على البعد التاريخي لعملية التلقي،واستخدمه المنظرون الأنجلوساكسونيون في المجال اللغوي والإعلامي وفي حقل الفنون في مرحلة لاحقة.وقد اخذ مفهوم التلقي عبر تطوره معان متعددة .وهو كمفهوم يدل على كيفية التعامل مع أعمال كاتب أو مؤلف أو فنان أو مدرسة أو تيار أو أسلوب عبر التاريخ.والتلقي بهذا المعنى هو الفعل الذي يمارسه القارئ بوصفه كائنا له مكوناته النفسية والذهنية والانفعالية والاجتماعية في تفسير الأعمال الأدبية والفنية.ويستخدم مصطلح التلقي أيضا للإشارة إلى النظريات المتعلقة بتلقي الأعمال الأدبية والفنية.ويشير التلقي إلى العناصر التي تعمل على خلق جمهور للعمل الفني .وقد اهتم الدارسون في حقل سوسيولوجيا الثقافة بالتلقي فركز بعضهم على تحديد الحالة النفسية والظروف الاجتماعية والتاريخية التي تميز مجموعة معينة من الجمهور،من خلال استبيانات تجرى على نماذج من المشاهدين فتبين انتماؤهم ووضعهم الاجتماعي ،وما يتوقعونه من العمل الفني،ومدى استيعابهم لما قدم لهم،وما تبقى في ذاكرتهم.[9]

ويعتبر الباحث الجزائري مخلوف بوكروح أن المتلقي ليس معزولا في أفعاله الاتصالية عن الوسائط التي يستخدمها،وليس معزولا أيضا عن محيطه.ومن هنا فان دراسات التلقي مطالبة بتناول مسألة التلقي ضمن صيرورة اجتماعية شاملة تقتضي التعامل مع هذه الظاهرة بحذر منهجي شديد(10)

2- **زمن التلقي:**

تعتبر نظرية الحتمية القيمية للإعلام المتلقي منتجا ثقافيا بالنظر لكونه خاضع للتنشئة الاجتماعية ،كما أن القيمة – القيم- هي التي تعتبر الأساس المعياري في مقاربة الظاهرة الإعلامية .**ولفهم النظرية يجب الاطلاع على كامل دراسات الباحث عزي عبد الرحمن حيث تعتبر كبنية لفهم ظاهرة الإعلام والاتصال ومنه فهم فعل التلقي.**

إن البروفيسور عزي عيد الرحمن ينطلق من فكرة **الزمن الذي يعتبر عاملا مهما في حياة المجتمعات** وبعيدا عن النظرة الفلسفية للزمن الذي يعتبر بصفة عامة "وتيرة الفعل أو الحركة في اتجاه قضية مقصودة أيا كان نوعها ثقافية أو اقتصادية أو سياسية أو إعلامية ا...فالزمن هو النبض الذي تأسس عليه أية حضارة .فالحضارة أنباض إن صح التعبير.وارتبط الزمن القيمي بالمعنى المجرد من جهة والمتولد عن معيشة الزمن أو ب"العبرة"من جهة أخرى فالزمن القيمي ليس لحظات وحقبا

وقرونا فحسب ولكن ثقل التجربة ودلالاتها في حياة الأفراد والأمم" (11)

إن الأهمية التي منحها البروفيسور عزي عبد الرحمن للزمن تنم عن تأثره بالحضارة العربية والإسلامية وكذا الحضارة الغربية على وجه الخصوص التي استثمرت في عامل الزمن واعتبرته هو والمال سيان كدليل عل قيمته ....وصنف صاحب نظرية الحتمية القيمية في الإعلام الزمن إلى زمن قيمي اجتماعي وزمن إعلامي حتى يفسر ويحلل الظاهرة الإعلامية،وفعل التلقي الذي يعتبر محور دراستنا.لأن عملية التلقي تتم وفقا لأوقات وأزمنة معينة منها ما هو أصلي ومنها ما هو مستورد.

وقد اطلع صاحب نظرية الحتمية القيمية للإعلام على ما كتبه ابن خلدون حول الزمن باستعمال مصطلحات (الأحوال/الآفاق/الوتيرة) في حديثه عن الأماكن الجغرافية المتغيرة وربطها بالزمن من خلال الحديث عن بطء الحركة في الأماكن الحارة ،وتسارعها في الأماكن الباردة موضحا بان أحوال الدول لا تدوم على نسق واحد فهي تنتقل من حال إلى حال ومن أيام إلى أخرى كما يكون ذلك حسب أحوال الأشخاص والأوقات كما أن السهول والمناطق الجبلية وبين الأنهار وشواطئ البحر وبين الصحارى والمناطق الثلجية تأثير على تنظيم الزمن،وابن خلدون تحدث عن حقب ودورات للزمن فهو لا يسير على نسق تصاعدي مثلما حدث مع نشأة الدول الإسلامية.

وهكذا اعتبر البروفيسور عزي عبد الرحمن ضبط زمان ومكان التلقي أمر مهم لتفسير وتبرير تفاعل الأفراد مع المنتجات الثقافية ومنها وسائل الإعلام،وكذا مع مختلف النشاطات السياسية والاقتصادية والاجتماعية،حيث أن الأمة العربية الإسلامية ومنذ نزول الوحي كرسالة عرفت الزمن الأصيل القيمي الخاص بعيادة الله – مختلف العبادات- وهو ما سمي الوقت الأزلي الذي لا يتغير مثل أوقات الصلاة والزكاة والحج ،وتفرعت فيما بعد أوقات اجتماعية واقتصادية وثقافية وإعلامية كان يجب ربطها بالوقت الأصلي – العبادات- حتى تكون ذات قيمة معنوية لأن ابتعاد تقسيم الأزمنة عن الزمن الأصلي جعل من الفرد والمجتمع يدخلان في مرحلة تفكك كبيرة مع سيطرة الزمن الإعلامي في وقتنا على كل شيء وهو ما يجعل فعل التلقي مشوها وبعيدا عن كل القواعد التي تربطه بالقيمة المستنبطة من الدين.

أما الغرب ومنذ عصر النهضة فقد تأثر بعملية الفصل بين الأزمنة (زمن الديانة/العلم/وقد عبر وليام جيمس عن هذا التجزؤ بالقول ..أن ذات الفرد في الغرب تتألف من 4 ذوات (الذات المادية/الاجتماعية/الذات الروحية/الذات المحضة) ويتم إدراك ذلك بالفكر الذي يستند على الأشياء موضع التفكير.واعتبر جيمس أن هذا الانفصام ولد عدة مناطق للتجارب التي تختلف عن بعضها البعض في طبيعتها والمعاني التي يضفيها الفرد عليها والطريقة التي يتعامل بها الفرد ذهنيا

مع هذه الأخيرة .وتوجد هذه التجارب في عوالم عدة حددها **جيمس في العالم الحسي/عالم العلم/عالم العلاقات المتماسكة،عالم المعبودات،وعالم الميتافيزيقيا،عالم الجنون والهوى**...

ويتضح من هذا الطرح أن الزمن الغربي مجزأ بطريقة تجعل لكل زمن حياة خاصة به و لا يؤثر في ذلك زمن على زمن آخر فزمن "المعبودات"ليس له تأثير أو علاقة بالأزمنة الأخرى **ويمكن للفرد أن يغير معايير سلوكه كلما انتقل من زمن لآخر وهذا ما يعكس التفكك في ذات هذا الفرد واتسام زمنه بالعشوائية وعدم الترابط تحت تسمية الإفلات والتحرر عبر القيود الثقافية** وغيرها .وساهمت هذه التجزئة الزمنية في ظهور العديد من الأفكار،والفلسفات العبثية والوجودية وخسوف الإنسان ،وموت المعاني. في المجتمع الغربي المعاصر.[12]

ونجد الفلسفة الأمريكية الحديثة تربط الزمن بالحاضر والمستقبل ويصبح الزمن الماضي مبهما وعالا فالزمن في هذه الحالة يفتقر إلى الشد والارتباط بالمخزون التاريخي والثقافي.وقد عبر جيمس فيلسوف البراغماتية الأمريكية عن هذه النزعة في دراسة مفهوم الاستمرارية فهو يرى أن الحالة كحالة العقل هي دائما حالة الآن،إن هذه الحالة وعندما تمر لا تستطيع أن تعود مرة أخرى.

وقد تأثر الفكر الغربي عامة ومنذ عصر التنوير بالنظرة إلى الزمن على أنه تطوري تصاعدي عكس نظرة ابن خلدون

والفلاسفة المسلمين عامة وذلك فيما يعرف بنظريات التطور والارتقاء أي أن التاريخ يتطور من الأدنى إلى الأعلى كمثل الانتقال من البدائية إلى العصرنة أو الحداثة .وانعكست هذه النظرة في مفهوم التقدم الذي ميز معظم فلاسفة العصر الحديث في الغرب على الرغم من انتكاسة هذه النزعة اثر الحرب العالمية الأولى كما أوضح "سبنغلر" في كتابه عن "أفول الغرب".

وحديثا اعتبر مالك بن نبي أن الزمن "الوقت" هو أحد العناصر الثلاثة في بناء الحضارة (الإنسان/الأرض/الزمان) فالحضارة في نظره مجموعة من العلاقات التي نغرسها حضارة ما في الأشياء والأفكار.وتكون هذه العلاقة إما حركية عندما تقوم الحضارة بصناعة التاريخ أو ساكنة (يكون فيها الزمن ثابتا) عندما تعيش الحضارة على أطراف التاريخ .ويرى مالك بن نبي أن الزمن في حد ذاته متساو بين الأمم إلا أن المجتمع الإسلامي الحالي ذو وعي محدود بالزمن،فزمنه مشتت ويضيع في شتى السلوكيات عديمة المعنى.[13]

وقد ازدادت أهمية الزمن الإعلامي مع تنوع وانتشار وسائل الإعلام في المنطقة العربية والإسلامية وأصبح هذا الزمن يعيد وبأشكال متعددة تشكيل الزمن الاجتماعي المعايش والذي عانى بدوره التشويه التاريخي في زمن الاستعمار والتوجيه الإيديولوجي في زمن الاستقلال وحاضرا التفكك واللاحركة في العلاقة مع الواقع المعاش والمرجعية الثقافية القيمية.وعليه فالخلل

البنيوي والوظيفي في كل من الزمن الاجتماعي والإعلامي وغياب الزمن القيمي وانحصار الزمن المعايش في دوائر غير فاعلة ثقافيا وحضاريا في المنطقة العربية الإسلامية.

وسعى البروفيسور عزي عبد الرحمن صاح النظرية إلى محاولة فهم الظاهرة الاتصالية من 6 معالم ثقافية أطلق عليها "الرواسب الثقافية" بحكم أنها تراكمية ومازالت آثار الماضي عالقة في العديد من عناصرها كما أنها قد اهتزت بشكل مشوه إلى حد كبير بفعل تدخل الإعلام كظاهرة مشوشة أحيانا وحاملة لدلائل اختراقية تلمس البنيات القيمية أحيانا أخرى.ويترتب عن هذا التداخل إعادة تشكيل المشهد الثقافي القيمي مما يبعد العناصر التراثية الدالة وعلى رأس سلم هذه الأخيرة "القيمة"وبما يفتح المجال على المجالات التي كانت محل الضبط الثقافي والدفع بالمجال نحو الاستبداد ومحاكاة الغرائز والتباهي بالرموز الشكلية الدونية التي يسوقها الغالب،وتشمل هذه العناصر :الزمان/ المكان/العنف/والرأسمال والخوف وبيولوجيا التفكير.

ويربط البروفيسور عزي عبد الرحمن التلقي بالزمن بالنظر للتحولات العميقة للحضارة العربية الإسلامية التي بدأت في إرساء معالم الحضارة بعد نزول الوحي ،وغرسه للقيم التي تضمن كل ظروف الحياة السعيدة للجميع ،كما ساهمت القيم في ربط الإنسان بالأرض ومنحه الشعور بالانتماء في وسط اجتماعي متناسق،وقد منح الدين أهمية كبرى للزمن حيث

وضع أوقات الصلاة والزكاة وصيام شهر رمضان والحج كما نظم الإنسان وقته الاجتماعي في التعليم والنشاط الاقتصادي وغيرها من مناحي الحياة بما لم يتعارض مع الدين واستمر الوضع على ما هو عليه إلى غاية الحملات الاستعمارية أين تم تدمير بنية الوقت وتم تعويضها بالمن الاستعماري الذي وضع أسس النشاطات الاقتصادية هي محور الزمن ،وفقد الإنسان العربي معالم الوقت وتم تعويض عادات وتقاليد الإنسان العربي والإسلامي بتقاليد أخرى كانت وسائل الإعلام إحدى وسائل هذا التدمير الذي مس الهوية .حيث عوض الزمن الإعلامي الزمن الاجتماعي والزمن الديني وبات الفرد والمجتمع بأسره يمنح معظم وقته لوسائل الإعلام بل كل وقته واستسلم لها وبات يتلقى كل شيء منها دون حسيب ولا رقيب بعد أن تم القضاء على مقوماته الحضارية والعقائدية.ولهذا بات يعيش الضياع والشتات.

- **التلقي بين الزمن الاجتماعي والزمن الإعلامي:**

إن الزمن كفعل معايش ومكون أساسي في البناء الثقافي القيمي.وقد ادخل الإعلام أبعادا زمانية مستحدثة على المنطقة في أمرين:

الوتيرة والنمط التواصلي الثقافي.أما الوتيرة فتقفز على وتيرة الزمن الاجتماعي المعايش الذي يتحرك في إطار قانون اجتماعي يأخذ مداه في إعادة أنتاج المؤسسات والأدوار،وترتب عن هذا الإخلال تكسير هذا المدى وتشوه العلميات الاجتماعية التي

فقدت التوازن باختلال وتيرة المسار،وأما النمط التواصلي الثقافي فقد تأثر بنيويا بإقحام زمن الآخر وإبعاد الزمن القيمي.وأدت هذه العملية التاريخية إلى تفكيك الزمن إلى أنظمة زمانية مختلفة (الإعلامي /الاجتماعي /القيمي) مما ولد حالة التمزق الاجتماعي وانفصام الشخصية وعدم القدرة على التموقع في حقبة زمانية متكاملة ودافعة من الناحية الثقافية والحضارية .

إن دراسة تأثير الزمن الإعلامي على الفرد والمجتمع لا يتم دون مرجعية تربط المحتويات بالقيم .ونظريا فان كان استخدام الزمن الإعلامي ذا صلة قريبة أو غير متناقضة مع القيم كان التأثير ايجابيا والعكس .وعلى هذا الأساس فان السؤال الذي يتعين طرحه ليس الزمن الإعلامي في حد ذاته ولكن وتيرته ومضمونه واستخدامه.

أي أن الحكم على الرسائل الإعلامية التي يتلقاها الفرد تكون بالإيجاب أو بالسلب ...فالايجابية هي التي ترتبط مع القيم العربية والإسلامية أو الحضارية كما يسميها مالك بن نبي..لأنها تزيد من وعي وتماسك المجتمع أما السلبية كما سنطلع عليه فتقوم بتفكيك المجتمع وزيادة عزلته ونشر القيم الهدامة التي تزيد من تبعيته وتخضير الشعوب.

إن المنظور الذي اعتمد عليه الباحث عزي عبد الرحمن في معالجة هذا الموضوع هو المنظور القيمي ويعني ذلك أن الأساس في تحديد العلاقة بين الزمن الإعلامي والمجتمع هو طبيعة

ISSN 2716-9111

المحتويات التي يتعرض لها ما إذا كانت تنسجم أو تتعارض مع القيمة .والقيمة تشمل كل ما يسمو بالفرد ،وأصلها الدين وقد تتجسد في جل ما تحمله الثقافة من معايير وضوابط وسلوكيات وعلى هذا الأساس يمكن تحديد اللاعقة مع الزمن الإعلامي في النبض والحركة والطريقة والشكل والمضمون الخاص بهذا الزمن رغد تداخل هذه العناصر.

وعامة أن الزمن الإعلامي أثر سلبا على الزمن القيمي في الشكل والمضمون.وتعود هذه التأثيرات السالبة جزئيا إلى سوء استخدام الزمن الإعلامي يقصد بسوء الاستخدام "المبالغة" في الاستخدام إلى حد الإدمان وبالاستخدام الذي يخل بقيم المجتمع كالتأثر غير المباشر بالمضامين التي تحمل أنماطا وسلوكيات غير قيمية أو الأثر المباشر الظاهر في الإعلانات المروجة للتدخين والخمر وكذا الدخول في علاقات رمزية غير مشروعة مع الجنس الآخر والاطلاع على المواقع الإباحية أي نوع من الاستخدام.[14]

وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم هذه التأثيرات السالبة إلى جزء يعود إلى الزمن الكمي في حد ذاته بغض النظر عن المضمون وجزء يعود إلى الزمن النوعي أي المضمون الذي يحيد عن القيم والثقافة عامة.فالفرد الذي انتقل من تلقي المعارف والمعلومات والأخبار من الكتاب الديني،والتراث المليء بالقيم والحضارة إلى تلقي كل شيء يأتي من الحضارة الغربية – لو أخذنا الأدوات

ليس مشكلا في نظر البروفيسور عزي عبد الرحمن- ومنه انسلخنا وبتنا نعيش الاغتراب في زمننا وأرضنا ومجتمعنا.

فالتاثيرات السالبة البنيوية تشمل:

1-أن استخدام الزمن الإعلامي "بشكل مفرط" يكون على حساب الزمن القيمي سواء تعلق الأمر بزمن العبادات أو المعاملات والعمل الصالح عامة.

إن كثرة التعلق بالزمن الإعلامي عادة يكون على حساب الزمن القيمي بحكم أن الزمن الإعلامي يستقطع أجزاء معتبرة من الأزمنة الأخرى.ولعل ذلك ما يجعل الفرد لا يشعر بمرور الوقت أثناء مشاهدة التلفاز أو تصفح شبكة الأنترنت فقد احدث الزمن الاعلامي عدم التوازن في التعامل مع الأزمنة الأخرى وحيث أن هذا الزمن الإعلامي ليس فيه الكثير من القيمة فان في استخدامه إضعافا للزمن القيمي عامة.

2-إن كثرة استخدام الزمن الإعلامي تحدث الإحساس بالعزلة:

إن اللجوء إلى الزمن الإعلامي قد يكون تعبيرا عن حاجة إلى التواصل أو الانتماء إلى الآخرين أي الحصول على الحس الاجتماعي،غير أن هذا الارتباط مع الغير ليس حقيقيا وإنما رمزيا أو وهميا،ومن ثم فهو لا يحقق الرغبة الحقيقية الصلبة إلا بصفة شكلية مؤقتة وعلى هذا الأساس تكون النتيجة عكسية خاصة وأن العلاقة الرمزية نادرا ما تتحول إلى حقيقة.

إن كثرة الارتباط بالزمن الإعلامي ينمي النزعة الفردية لدى الفرد وقد يجد الفرد المتعة في الانفراد والتمركز حول الذات ويكون

ذلك حالة مرضية ونوعا من الأنانية الذي تحدث عنه ابن خلدون ودوركايم في وصف طبيعة الإنسان الحضري أو المتمدن .وفي هذه الحالة يتعين إيجاد آليات تعيد الفرد إلى الاندماج في زمنه الاجتماعي مرة أخرى حتى وان كان هذا الزمن يحتاج بدوره إلى إعادة الارتباط بالزمن القيمي.

3-أن كثرة استخدام الزمن الإعلامي في حد ذاتها تؤثر سلبا على مهارات الاتصال الشخصي ومن ثم يضعف نسيج الزمن الاجتماعي :أكدت دراسات عديدة أن الفرد يجد الزمن الإعلامي كتصفح الأنترنت أكثر متعة من الجلسات الاجتماعية التقليدية "الديوانية" في منطقة الخليج وان الاستخدام الفردي هو السائد في العلاقة مع الزمن الإعلامي اي أن مشاهدة التلفزيون والاستماع للاذاعة وقراءة الصحف وتصفح شبكة الأنترنت تجربة شخصية وليست اجتماعية ، يستتبع ذلك أن يفقد الفرد تدريجيا كيفيات،و"اتيكيتات" التعامل مع الآخرين لغويا وثقافيا وسلوكيا ،وذلك ما يضعف التواصل والحراك الاجتماعي في الواقع المعايش.

4- أن كثرة استخدام الزمن الإعلامي في حد ذاتها تجعل الفرد يحدد وقتا محدودا للزمن العائلي وتكوين الأصدقاء وذلك ما يؤثر سلبا على العلاقات والوظائف والمسؤوليات الاجتماعية للفرد أي أنها تعمل على تضييق المحيط :إن كثرة استخدام الزمن الإعلامي يكون على حساب استخدام الزمن العائلي والأتراب والفرق المرجعية الأخرى مما يضعف الانتماء العائلي

والاجتماعي وما يترتب عن ذلك من ابتعاد الفرد عن المسؤولية العائلية والاجتماعية والأدوار.

وقد بينت نظرية الثقافة ذات السياق الواسع والضيق أن الزمن الإعلامي لوسائل الإعلام يلعب دورا عكسيا في الثقافات المختلفة فهو يلعب دورا سلبيا في الثقافة الغنية في محيطها بالمعاني والعلاقات الاجتماعية. الثقافة العربية مثلا.إذ يبعد الأفراد عن بعضهم البعض ويحرمهم من اكتساب هذه المعاني والعلاقات والعكس بالنسبة للثقافة الفقيرة نسيبا في هذه المعاني والعلاقات كثقافات المجتمعات الصنعة المتسمة بالفر دانية وقلة الزمن الاجتماعي .

5- أن كثرة استخدام الزمن الإعلامي في حد ذاتها تؤثر سلبا على الصحة النفسية والجسدية كالقلق وضعف البصر وقد بدأ علماء النفس يتحدثون عن مرض نفسي يرتبط بكثرة استخدام الزمن الإعلامي الخاص بالانترنت:مثلا مرض الإدمان على الانترنت ومن أعراضه استخدام الزمن الإعلامي للمتعة للإشباع وتخفيف القلق والإحساس بالتذمر وعدم لمراقبة والإحباط من جراء عدم استخدامه.صرف وقت ومال كبير على الكمبيوتر وملحقاته وبرامجه ومجالاته وإهمال العمل والدراسة والالتزامات العائلية.

6- إن كثرة استخدام الزمن الإعلامي يؤدي إلى التركيز على حاسة البصر على حساب الحواس الأخرى :إن السمع من الوسائل الأكثر ارتباطا بتعلم القيم أم البصر فيرتبط كثيرا

بالأشياء المجسدة وليست المعنية .الشيء الذي يبسط ويشوه الثقافة التي في أصلها معان يسمو إليها الفرد.وفي الأصل فان العلاقة بين الحواس تكاملية إلا أن الزمن الإعلامي جعل الفرد يركز على حاسة البصر على حساب الحواس الأخرى وفي ذلك إضعاف للعين من جهة وتقليص للثقافة من جهة أخرى وهذا أمر يشبه ما وصفه ماكلوهان عن علاقة المكتوب والإذاعة والتلفزيون بالحواس فكل وسيلة تركز على حاسة معينة وتضعف الحواس الأخرى الشيء الذي يؤثر على طريقة اكتساب الثقافة.وتتضمن التأثيرات السالبة النوعية (الخاصة بالمضمون وليس الجوانب البنيوية المذكورة ما يلي:

7- أن سوء استخدام الزمن الإعلامي (المضمون)يودي إلى إهدار القيم أو تحييدها :

أظهرت دراسات عديدة أن الفرد الشاب يستخدم الزمن الإعلامي كالأنترنت بحثا عن الجنس الآخر،ويعني ذلك أن القيود القيمية الخاصة بعدم لقاء الجنس الآخر خارج الأقارب والزواج تم تجاوزها .

8- أن سوء استخدام الزمن الإعلامي (المضمون)يردي إلى إضعاف الحساسية والاستحياء تجاه الممنوعات الثقافية:

تبين الدراسات أن التعود على اللفظ مقدمة لفعله بل هناك من اعتبر أن اللفظ الذي يكرره الفرد كذا مرة يؤدي إلى الفعل بالضرورة .وإذا كانت الثقافة قديما لا تستحل التلفظ ببعض الكلمات والتعبيرات خوفا من انتقالها إلى الفعل فان الزمن

الإعلامي يقفز فوق هذه الحواجز ويستحل في لحظة ما منعته الثقافات لعقود .

9-أن سوء استخدام الزمن الإعلامي (المضمون) يؤدي إلى إضعاف دور قادة الرأي والفكر وتقمص أدوار (نجوم الزمن الإعلامي):

إن شأن الزمن الإعلامي في ذلك شان التلفزيون والوسائل المسموعة والمرئية اذ أن النماذج التي يتم تسويقها الآن هم الممثلون والمطربون وعارضو الأزياء وما شابه ذلك.

والحاصل أن الصفات المرتبطة بهذه النماذج ترتبط بالشبابية والزينة والأجسام الشيء الذي يجذب الفرد في سن الشباب بالذات إن لم تكن لديه حصانة قيمية كافية ،وقد يتبناهم الفرد كقدوة في حياته فينشغل بهم وبحياتهم ويمضي زمانه بدون زمان خاص به وفي ذلك إهدار لذاته ومجتمعه.أما حضور قادة الفكر والرأي على الزمن الإعلامي فقليل نسبيا وقد لا يتضمن ذلك التشويق والتعليب والتغليف الموجود في حالات الإعلانات التسويقية الأخرى.

10- أن سوء استخدام الزمن الإعلامي (المضمون) قد يكون وسيلة للتهرب والإفلات من الزمن الاجتماعي ويكون تعويضا غير حقيقي لعلاقات اجتماعية مفقودة وذلك ما يلاحظ مثلا في كثرة الدردشة على الانترنت مثلا :

ويعني ذلك أن التعلق بالزمن الإعلامي قد لا يكون نتيجة رغبة تلقائية وإنما هروبا من زمن اجتماعي يعتبره الفرد لا يلبي

احتياجاته ورغباته مهما كانت هذه الأخيرة وتلك هي حالة مرضية من جانب أن الفرد يعوض بواسطة هذا الزمن ما يفتقده في زمنه الاجتماعي خاصة ما تعلق الأمر بالعلاقات الاجتماعية فالتعلق للحصول على علاقات اجتماعية مفقودة في الواقع قد يحدث إحساسا وهميا بالتعويض مما يزيد الفرد عزلة وابتعادا عن السياق الاجتماعي الحقيقي وقد اظهر عدد من الدراسات أن الدردشة والاتصال الالكتروني أهم نشاط يجدب الشباب إلى الزمن الإعلامي في هذه المنطقة.

11- أن سوء استخدام الزمن الإعلامي (المضمون) في حد ذاتها يمنع الفرد من تغيير ذاته:

يدخل في الآثار السالبة الخاصة بسوء استخدام الزمن الإعلامي أن ينغمس الفرد في الزمن الإعلامي ويتخلى شعوريا أو بصفة غير شعورية عن مسؤولياته ومشاكله الحياتية .ويعني ذلك ان الزمن الإعلامي يوفر له ملجأ يستقر فيه دون أن يعود إلى واقعه وتعديله أو تصحيحه أو تغييره.

12- أن سوء استخدام الزمن الإعلامي (المضمون) يؤدي إلى تقليص المحلي وتوسيع العالمي :

أن الكثير من المحتويات التي يحتك بها الفرد في الزمن الإعلامي ليست بالضرورة عن واقعه المحلي بل عن ظواهر عالمية ترتبط بالمجتمعات الأخرى وخاصة الغربية وذلك رغم وجود ما يربطه بالزمن المحلي كالصحف والإذاعات المحلية والمواقع المحلية على شبكات الأنترنت ..والحاصل أن مثل هذا يقلل الاحتكاك بالزمن

الاجتماعي وكل ما هو واقعي (من الواقع المعايش) ويجعل الفرد مرتبطا أكثر بما يجري في العالم الخارجي من أحداث وتطورات في شتى المجالات ،وتقول بعض التأويلات أن هذا التعرض سيكون مع الزمن وعيا أو انتماءا عالميا لدى الفرد.وفي كل الحالات فان هذا الزمن العالمي يكون على حساب المحلي ويساهم في تكسير وتيرة الزمن الاجتماعي.

13- أن الزمن الإعلامي المرتبط بالخطاب الإيديولوجي يضعف الحركة الاجتماعية عن طريق تكريس الأحادية وفرض القيود على تطور الزمن الاجتماعي.

إن الزمن الإعلامي في العديد من المناطق العربية والإسلامية وثيق الصلة بالخطاب الأيديولوجي الذي برز في مرحلة ما بعد الاستقلال.ورغم أن هذا الخطاب تراجع لظروف خارجية وأخرى محلية إلا ان توابع هذه الخلفية مازالت حاضرة .وأدى هذا الارتباط إلى الضغط على الزمن الاجتماعي وتوجيهه بما يخدم هذا الخطاب وليس ما يتطلبه الزمن الاجتماعي من تطور في بنياته الداخلية وآلياته المحلية أذا بعين الاعتبار ما حصل من تشوه في هذا الزمن أثناء فترة الاستعمار.

14- أن سوء استخدام الزمن الإعلامي (المضمون) يؤدي إلى تنمية النزعة الاستهلاكية وتعزيزها بما يضعف القدرات المالية والذهنية والمستهلكين من خلال استنزاف جيوبهم وتسويق الصور النصف العارية التي تجعل من الأفراد يلهثون وراء الشهوات والغرائزية.

15- أن سوء استخدام الزمن الإعلامي المضمون قد يؤدي الى المزج بين الحقيقي والرمزي :

وأظهرت الدراسات الخاصة بالتأثير الإعلامي كالتلفزيون مثلا أن الأفراد الذين يشاهدون الأخبار بكثرة واستمرار يعتقدون أن العالم حولهم أقل أمنا مما هو عليه حقيقة فكثرة الارتباط بالزمن الإعلامي في حد ذاتها .وإذا كان الأطفال يعانون من هذا المزج في المراحل الأولى من الطفولة فان ذلك يعود للظهور مرة أخرى ليس بفعل قلة النضج الذهني.والمعرفي وليس بحكم كثرة الاستخدام والانعزال عن الزمن الاجتماعي المعايش أو الزمن القيمي.

16- أن سوء استخدام الزمن الإعلامي (المضمون) يؤثر سلبا في الدراسة من حيث الزمن المستقطع على حساب زمن الدراسة والمطالعة:وأظهرت الدراسات الخاصة باستخدام بعض وسائل الإعلام أن كثرة مشاهدة التلفزيون تؤثر سلبا في التحصيل الدراسي كما أن ذلك يعود الفرد على الكسل الذهني والجسدي والحاصل أن الزمن الإعلامي يستقطع جزءا معتبرا من الزمن الدراسي بفعل أن الفرد في تفاعله مع الزمن الإعلامي يفقد الإحساس بالوقت .ورغم أن الزمن الإعلامي على الشبكة يفتح مجالا واسعا لتنمية وتدعيم الدراسة إلا أنه يبدو أن استفادة الشاب الطالب أكاديميا من هذا الزمن مازال محدودا لضآلة المادة المعرفية بالعربية بالمقارنة بالإضافة إلى عدم إدخال الزمن الإعلامي كجزء من العلمية التعليمية إذ عادة ما تتداخل الأزمنة

عند تصفح الشبكة وعامة فان الفرد ينظر إلى الزمن الإعلامي على ما يبدو كوسيلة ترفيهية وليس تعليمية. (15)

التلقي والقنوات الفضائية وتأثيرها على سوسيولوجية المخيال الاجتماعي الإعلامي:

يعطي البروفيسور عبد الرحمن عزي أهمية كبيرة لعلم الاجتماع الإعلامي والمجتمع بصفة عامة بالنظر لكونه الوعاء الذي يحمي الفرد ويوجهه ويعمل على الحفاظ على التوجه العام السوي وفقا للقيم لأن الاغتراب والفردانية إحدى أهم أسباب تفكك المجتمعات

وفي دراسة حول الفضائيات وتأثيرها على القيم فقد أكد البوفيسور عزي عبد الرحمن أن وجود الفضائيات يرتبط بالبنية الاجتماعية وعلى هذا الأساس فان القول بان الإعلام (الفضائيات)انعكاسا للاجتماعي أمر مبرر من الناحية السوسيولوجية فالمجتمع بوصفه كيانا اجتماعيا تاريخيا كان سابقا لهذه البنية الفوقية الإعلامية التي تعكسه أو تشكله جزئيا وفق الخطاب أو الإيديولوجية التي تحكم هذه الوسائل.

هذا التحليل يكون ناقصا إن لم ندخل عنصر التفكك الاجتماعي الذي يحمل محددات تاريخية واجتماعية من مثل آثار عصر الانحطاط والفترة الاستعمارية إضافة إلى التشوهات الاجتماعية الناتجة عن السياسات الاقتصادية والاجتماعية لما بعد الاستقلال في عهد الدولة الجديدة.

وقد أدى تحييد القيمة أو تغييبها إلى تكريس هذا التفكك مما ولد هذه القابلية الاجتماعية في التعلق بالفضائيات المكورة فالقابلية الاجتماعية تعني "سهولة" نفوذ الرموز والدلالات التي تحملها الفضائيات إلى المتلقي وضعف رجع الصدى أو مقاومة النص الغريزي أو النصوص الأخرى بفعل ضحالة التحصين القيمي وأفول المؤسسات الاجتماعية الثقافية الأساسية .

وقد استنبطت "القابلية الاجتماعية" من فكرة مالك بن نبي الخاصة "بالقابلية للاستعمار"والتي تبين أن ظاهرة الاستعمار إنما تنبني على واقع المستعمر المفكك .وبمعنى آخر فان حال المستعمر يجذب أو يشجع الآخر على الاستعمار ،ويكون بذلك منسجما مع مقولة ابن خلدون (المغلوب مولعا بتقليد الغالب)،وكما تقول الآية الكريمة" و لاتنازعوا فتفشلوا وتهب ريحكم"وعلى هذا الأساس يكون الإعلام أقرب ما يكون إلى المتغير المستقل الذي يلعب الدور المؤثر في تشكيل القوالب الذهنية النمطية والأنماط السلوكية الاستهلاكية و"الانحرافات" الأخلاقية المتزايدة في أوساط ما سميناه "المخيال الاجتماعي"الإعلامي من صنع وسائل الإعلام وقد طفت هذه الوسائل الاحتياجات الاجتماعية المشوهة ك(العاطفية والترفيهية)بشكل أفرغ هذه الأخيرة من المضامين القيمية وذلك بالاستناد إلى حجة أن "الجمهور يريد كذا" مع العلم أن ما يريده الجمهور قد تكون مع الزمن مما تريده وسائل الإعلام على قاعدة "بضاعتنا ردت إلينا" .[16]

الخاتمة:

إن نظرية الحتمية القيمية ورغم حداثتها بالمقارنة مع النظريات الغربية الخاصة بالاتصال إلا أنها أثبتت قدرة الباحثين العرب في إعطاء تشخيص شامل لواقع الإعلام العربي والإسلامي من خلال ضبط السلبيات واقتراح البدائل من خلال العودة إلى القيم والتراث العربي الإسلامي كاسمنت لمجال الاجتهاد والبحث وليس للانغلاق كما فعله البعض من خلال الابتعاد عن الأدوات والمناهج البحثية التي .

إن فعل التلقي حسب عبد الرحمن عزي يجب أن يضبط من خلال غرس القيم السمحى والقيم المثالية حتى لا يحيد الفرد عن المجتمع وتنتشر الفردانية والاغتراب والتطرف ،وعليه فكل الدراسات الخاصة بالظاهرة الاتصالية والإعلامية يجب أن تربط بالقيمة بالحضارة حتى لا نبقى على هامش التاريخ .

كما آن الإعلام والاتصال ليس هو من بصنع الثقافة والقيم والمجتمع بل هم من يصنعونه ويجعلونه أداة لنشر القيم والحقيقة عبر مختلف الصناعات الثقافية لن ما نعيشه من تفكك وخوف وفزع يعود لابتعادنا عن القيم والمبادئ والتراث الذي يحمنا منذ قرون وعوضناه بوسائل إعلام التي يعود إلى ظهورها أقل من قرن وبفعل تركيزها على الترفيه والعاطفة جعلتنا ننسلخ تماما وهو ما جعلنا اليوم نعيش الاضطراب في عالم بتنا فيه نتلقى فقط ولا نستطيع أن نقوم بدور المرسل ولو لمرة.

الهوامش والمراجع

1- نصير بوعلي : دراسات في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام (نحو فكر إعلامي حضاري قيمي)ط1،منشورات رأس الجبل حسين،قسنطينة،2018 ص 13.

2- نصير بوعلي :الإعلام والقيم،قراءة في نظرية المفكر الجزائري عبد الرحمن عزي،دار الهدى للطباعة والنشر،والتوزيع،الجزائر 2005.

3- رقية بوسنان ومحمد هاشم الكريم، حوارات أكاديمية حول نظرية الحتمية القيمية في الإعلام :الورسم للنشر والتوزيع ،الجزائر،2010ص 12.

4- مالك بن نبي، شروط النهضة،الطبعة 11 دار الفكر ،دمشق 2013.ص 68.

5- رقية بوسنان ومحمد هاشم الكريم،مرجع سابق ذكره ص.102.

6-نصير بوعلي مرجع سابق ذكره.

7-عزي عبد الرحمن:الإعلام وتفكك البنيات القيمية في المنطقة العربية:قراءة معرفية في الرواسب الثقافية،الدار المتوسطية للنشر،مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم،ص09.

8-تيري ايغلتون:نظرية الأدب،ترجمة ثائر ذديب،دار المدى للثقافة،ص 128.

9-ماري الياس:حنان قصاب:المعجم المسرحي(مفاهين ومصطلحاتالمسرح وفنون العرض)،مكتة لبنان،بيروت،ص27.

10-مخلوف بوكروح:التلقي في القافة والاعلام....،دار المقامات للنشر والتوزيع،الجزائر ص 159.

11- عزي عبد الرحمن:مرجع سابق،ص17.

12-عبد الرحمن عزي:الفكر الاجتماعي المعاصر والظاهرة الإعلامية الاتصالية :بين الأبعاد الحضارية،دار الأمة ،الجزائر 1995،ص32.

13-مالك بن نبي:شروط النهضة،دار الفكر،بيروت،1979،ص43.

14-د/عبد الرحمن عزي:"الثقافة وحتمبة الاتصال.نظرة قيمية ،المستقبل العربي،العدد9.....2003.

15- عزي عبد الرحمن:الإعلام وتفكك البنيات القيمية في المنطقة العربية:قراءة معرفية في الرواسب الثقافية،ص34-41.

16-abderrahmane azzi,social control in the newsroom,a case study, »revue algerienne de communication.no 4.1990.